مُقَدِّمَة

فكرة « الشعب المختار» يمكن أن تؤخذ على أنها تكليف ... تشحذ النفوس وتُعلى الهمم ... يتسامى بها " المختار" عن نقائص وعيوب البشر... ويضرب لهم المثل والقدوة ... كما فعل الأنبياء ومن تبعهم بإحسان ... بينما يأخذها البعض على أنها امتياز تجعله ينظر للآخر من علٍ ... فَيُبطل بها المساواة ويلغى حقوق الآخر...

« أمـــا مدن الشعوب التى يهبها الرب إلهكم لكم ميراثًا فلا تستبقوا فيها نسمة حية، بل دمروها عن بكرة أبيها ».

(سفر التثنية، الإصحاح العشرون: ١٦-١٨)

وفـــى الجـــزء الحالى، يناقش المؤلف تلك الفكرة وتأثيرها على السياسة والـــتاريخ ... ومـــا أثارته من متناقضات وجدلية بين الآخذين بها ... فتارة تعتبر « الجماعة المختارة » أنها حلت محل أخرى؛ لأن الرب غضب على المخـــتارة الأولـــى ... وهذا « الاستبدال » أو « الحلول » أو « الإلغاء » للقديم يعرضه لكل أنواع التهم والاستبعاد ...

وتـــارة تعتبـــر الجماعـــة الجديدة أن شرعيتها من تمام شرعية القديمة، فتؤيدها بكل السبل والوسائل ...

فمـــثلاً مـــارتن لوثر، الذى أنشأ المذهب البروتستانتى فى أوائل القرن الســـادس عشر... أعاد للكتاب المقدس ــ بعهديه القديم والحديث ــ الأولوية فى المسيحية، فوق الكنيسة الكاثوليكية والبابا والتقاليد، وأعاد بالتالى الاعتبار لليهود وعمل بجدية لتحويلهم إلى المسيحية، فلما رفضوا، أصدر بيانه التالى فى كيفية معاملة اليهود:

« أولاً، إشـــعال النيـــران فـــى معابدهم أو مدارسهم ودفن ما لا يحترق وتغطيته بالتراب، بحيث لا يرى أحد مرة أخرى حجرًا أو رمادًا لهم ...

ثانـــيًا، إننـــى أنصح بإزالة منازلهم أيضًا وتدميرها؛ لأنهم يتابعون فى داخلها نفس الأهداف التى يتابعونها فى معابدهم. وبدلاً من ذلك يمكن إسكانهم تحـــت سقف فى جرن، مثل الغجر. فإن هذا سوف يذكرهم بأنهم ليسوا سادة فى بلادنا، كما يتباهون، ولكنهم يعيشون فى المنفى والأسر، وأنهم باستمرار ينوحون ويحزنون علينا أمام الرب.

ثالـــثًا، أنصـــح بأن كتب صلواتهم، وكتاباتهم التلمودية، التى فيها وثنية وأكاذيب، ولعنات وكفر يتم تعليمه، تنتزع منهم.

رابعًـــا، أنصـــح بمنع أحبارهم من التعليم منذ الآن فصاعدًا ومعاقبة من يخالف ذلك بالإعدام وقطع الأطراف... » .

وبصـــفة عامـــة، كانـــت مصر وفرعون فى التنميط البروتستانتى هى المعـــادل لأى طغـــيان، كمـــا كـــان بنو إسرائيل الاسم الذى يُطلق على أية مجموعة جديدة تقاوم الطغيان وتهرب منه...

فمصـــر هـــى رومـــا فى عيون البروتستانت فى قرونهم الأولى، وهى انجلترا بالنسبة للثوار الأمريكيين، وبهذا أمكن القول إن چورچ واشنطون هو موســـى. وقـــبل ذلك كان أوليڤر كروميل الثائر الإنجليزى على الملك هو موسى وكان الملك الإنجليزى هو فرعون.

وتأيدت العنصرية بقصة نوح مع ابنه حام، الذى رأى عرى أبيه، فلعن نوح كنعان ابن حام (وليس حام) ودعا أن يكون كنعان بن حام عبدًا لإخوته ...فمنذ اكتشاف أمريكا، وجد دعاة الرق والتفرقة العنصرية فى ذلك مرجعًا توراتـــيًا إلهيًا ... عندما نسبوا ــ بدون أساس مقبول ــ السود والزنوج إلى حـــام ... ربما بنفس المنطق الذى لعن فيه نوح كنعان وليس حـــام.

عـادل المعـلم